روزفلت

نعى البرق هذا الرجل الكبير والرئيس العظيم ولعلهُ اكبر رئيس انجبتهُ بلاد العجائب الولايات المتحدة الاميركية قبل ان قام فيها الدكتور ولسن او كلٌ منهما يمتاز بامر يفضل بهِ الآخر فروزفلت يفوق ولسن حزماً وولسن يفوق روزفلت تعمقاً في القوانين الدولية وكلاهما من افضل الرجال واشدهم انصافاً واقدر على سياسة الامم

رأى كثيرون من سكان هذه العاصمة روزفلت وسمعوهُ يخطب في الجامعة المصرية وكلية البنات الاميركية وحادثهُ بعضهم وقد اتفق لنا ان حادثناهُ غير مرة فرأيناهُ سريع الخاطر ملمًّا بكثير من العلوم العصرية شديد الثقة بنفسهِ. وقد نشرنا بعض خطبهِ في المقتطف وقلنا عنهُ في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٤ حين انتخابهِ لرياسة الجمهورية الاميركية ما نصهُ

اما مقامهُ في عالم التأليف وبين ارباب الانشاء فواضح من مؤلفاتهِ الكثيرة فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة وتمَّ دروسهُ فيها سنة ١٨٨٠ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وانتخب حينئذٍ عضواً في مجلس نيويورك فاظهر ما امتاز بهِ من اصالة الرأي واستخدام السياسة لنفع البلاد ومقاومة الخصوم بالعنف الشديد وفعل ما يعدُّ فعلهُ واجباً مهما حال في وجههِ من الحوائل. فعرف الناس قدرهُ ورأوا فيهِ مقدرةً تفوق المعتاد فاحبهُ بعضهم وابغضهُ البعض الآخر ولكنهم هيبوه كلهم واكرموهُ

والَّف كتابهُ الاول سنة ١٨٨٢ وثلثهُ كتب أُخرى في السنوات التالية. وسنة ١٨٨٨ انشأ اول كتاب سياسي بحث فيهِ عن سياسة البلاد بحثاً لم يُسبق اليهِ وازاح الستار عن رياء المعدودين عُمَد الامة وعن مفاسد نواب الاغنياء واظهر مثالب الذين يُعدُّون دُخلاء لانهم مولودون خارج البلاد الاميركية. وشدَّد النكير على الاغنياء الذين يجتمعون في الاندية الكبيرة ويطلبون الاصلاح كأنَّ الاصلاح مادة تملك باليد ثم ينصرفون كأنهم قضوا الواجب عليهم. وقال انهُ كلما عرضت لهُ مشكلة خطيرة وانتخب لها لجنة لحنها ثلاثة ارباع اللجنة من الاولندين اي ان رجال الاعمال الذين يعتمد عليهم هم من الذين يعدُّون دخلاء في البلاد

ثم توسع في هذا الموضوع وألف فيه كتاباً كبيراً نشره سنة ١٨٩٥ سماه « مطالب اميركا » شرح فيه آراءه السياسية والاجتماعية فقال ان المجرمين الذين يرتكبون الجرائم ويقعون تحت طائلة القانون ليسوا بالذين يخشى شرهم وانما يخشى شرُّ المضارب الذي يفتني بمخادعة غيره ويرشو القضاة ويفسد القضاء لكي يثرى وهو من كبار الاغنياء فانهُ اضرُّ بالبلاد من اللصوص وقاطعي الطرق . والذي يهيج العمال على الاعتصاب لا يفرق عن التاجر او صاحب المعمل الذي يضيق على مستخدميه ويمنعهم من الاستقلال . وحطَّ الى الدرك الاسفل من الخسة والدناءة الغنيَّ الذي يضحي كل شيء في سبيل جمع الثروة وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

« لا شيء في الدنيا احقر واخس من الرجل الاميركي المتفاني في جمع المال فانهُ يهمل كل واجب ويغضي عن كل حق ويعكف على جمع الثروة واستخدامها في اخس الاعمال إما بالمضاربة وتخريب البيوت والشركات او بجعل ابنهِ يعيش عيشة البذخ والطيش والخلاعة والكسل او يشترى شاب خليع من ابناء البيوت الكبيرة زوجاً لابنتهِ . ويزيد شرُّهُ وضرُّهُ اذا فعل فعلاً حميداً من وقت الى آخر كأن يبني مدرسة او كنيسة لكي يجعل الجهلاء يقسون قبائحهُ . رجل مثل هذا لا يعبأ بالعمال الذين يهتضم حقوقهم ولا بالبلاد التي يقوض اركانها فهو لعنة على نفسهِ وعلى بلادهِ

« والرجل الذي يرى سياسة بلادهِ متدرجة من رديء الى ارذأ منهُ ولا يحرك ساكناً ويسمع عن ظلم الحكَّام فيضحك ولا يبالي ويشاهد سوء الادارة وتعريج القضاء ولا يبذل جهدهُ في اصلاح الحال هذا الرجل ينقض عهد ولائهِ لبلادهِ وامتهِ ويُعدُّ الطريق لخرابها ودمارها . والاغضاء عن الحق والواجب والتعامي عمداً يؤول اليهِ الظلمُ والفسادُ من الشر والخراب نقيصتان من اقبح النقائص وهما من مزايا بعض الاميركيين الذين يعدون انفسهم في المصاف الاول بين الامم

« ويقرب من هؤلاء في الضرر الرجالُ الذين مطاليهم كلها مادية محضة فيقيسون كل شيء بمقياس الربح المالي فلا يحسبون لشاعر حساباً ولو كان النبغ شعراء العصر لانهم لا يرون ان البلاد تربح من شعرهِ ربحاً ماليًّا بل يفضلون عليهِ صانع المسامير وقد فاتهم ان الربح المالي لا يقوم مقام الفضائل القومية ولا يحل المشاكل الاجتماعية

« ومنهم من يفضل المال على الشرف والمجد واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب وكل المناقب التي تقوى بها الامم وتستعز ويزعم ان ملاك السلام نال بغيته من الناس لما اقنعهم بجلب البضائع الاجنبية التي ينقص ثمنها بعض الشيء عن البضائع الوطنية . ولا تتحرك في نفوسهم اقل عاطفة من العواطف التي ولدت الساسة والابطال والشعراء والادباء ورفعت مقام الامم واعلت كلمتها »

ثم توسع في هذا الموضوع في كتابه الاخير المسمى « حياة الجد » وافاض في تزييف المعايب الاجتماعية والترغيب في الفضائل الادبية ولاسيما بعد ان القيت على عاتق الحكومة الاميركية اعباء جديدة باضافة جزائر فيليبين اليها

ومن هذا القبيل رسالته الى مجلس الامة الاميركي التي نشرنا ترجمتها في مقتطف يناير سنة ١٩٠٧ وهذا بعض ما جاء فيها

والواجب علينا ان نعامل جميع الامم بالعدل والانصاف ولا نقتصر على معاملة الامم كذلك بل نعامل كل الذين يهاجرون الى بلادنا طبقاً لقوانيننا بالعدل والرضى وحسن القبول لا فرق في ذلك سواء كانوا كاثوليكاً او انجيليين يهوداً او وثنيين انكليزاً او المانيين روسيين او يابانيين ايطاليين او سواهم . وكل ما يحق لنا ان نسأل عنهُ او نعترض عليهِ هو سلوك المهاجر وسيرتهُ . فاذا كان مستقيما وصادقاً في معاملتهِ للناس وللحكومة فقد وجب علينا احترامهُ ومعاملتهُ بالحسنى . ويجب علينا خصوصاً ان نتذكر ما يُطلب منا للغريب النازل في ابوابنا . فان اذلال هذا الغريب او الاساءة اليهِ او التحزب عليهِ او التفريق بينهُ وبين سواهُ قصد عدم معاملتهِ بالسواء — كل ذلك دليل الانحطاط في التمدن وفي الآداب ما دام ذلك الغريب قد دخل بلادنا على مقتضى قوانيننا واحسن السلوك فيها . فالواجب على كل اميركي ان يتذكر ذلك وخصوصاً اذا كان من موظفي حكومة الجمهورية او حكومة كل ولاية من ولاياتها المتحدة

والذي حدا بي الى هذا القول ما أراهُ من معاملة اليابانيين بالجفاء والعدوان في جهات من هذه البلاد . نعم ان هذه العداوة محصورة في اماكن قليلة وبين جماعات متفرقة ولكنها عار عظيم على شعبنا وربما جرّت اسوأ العواقب على امتنا . فان عرى الصداقة بيننا وبين اليابان لم تزل موثقة من يوم دخول الكومندور بري اليها منذ خمسين سنة وفتحهِ ابوابها لتمدن الغربيين الى يومنا هذا . وقد نمت

اليابان من ذلك الحين وتقدمت تقدماً ادهش العالمين اذ لم يسبق لهُ نظير في تاريخ البشر بل لم يحدث ما يقرب منهُ في عهد المتمدنين . وهي بلاد ذات تاريخ قديم وماضٍ مجيد عظيم تمدنها اقدم عهداً من تمدن شمال اوربا موطن اجداد معظم الاميركيين . على انها كانت منذ خمسين سنة فقط لا تفوق في ارتقائها درجة عن ارتقاء اوربا في العصر الوسطى ثم ارتقت في الخمسين سنة الماضية من كل وجه من وجوه المعاش ارتقاءها المعدود معجزة العالم اليوم واصبحت تُعد من اعظم الامم المتمدنة . فهي امة عظيمة في ابواب الحرب والقتال . وفي اساليب السلم والأمن . وفي اعمالها العسكرية والحربية . وفي اعمالها الصناعية والتجارية . وفي اشغالها الفنية والعلمية . وقد ثبت جنودها في البر والبحر انهم يحكمون في ميادين القتال وساحات النزل اعظم جنود اشتهروا في التاريخ ونبغ فيها قواد الجيوش العظام وقام منها امراء البحر المعدودون . واثبت رجالها برّاً وبحراً انهم من اشجع الشجعان ومن الابطال الصادقي الولاء الذين لا تقعدهم الشدائد عن الهيجاء ولا يبالون بتجرع كاس الحمام كما اثبتوا ان الوطنية لها في نفوسهم اسمى منزلة وفي قلوبهم اشد محبة . والناس يضربون الامثال الآن بارتقائهم في الصناعة والتجارة ارتقاء لم ترتقهِ امة في مثل تلك المدة وكذلك تقدمهم في العلم والفلسفة يحكي تقدمهم في غيرها

وبعد ما اطال في اطراء اليابانيين بما لا يحتمل المقام استيفاءه قال ان الواجب الاعظم من الاميركيين يحلهم ويكرم مثواهم وان الاجنبي القادم من اليابان يعامل في اكثر الجهات احسن معاملة كما لو كان قادماً من ممالك اوربا المتمدنة ويستحق ان يعامل كذلك

ثم رحّب بمؤتمر السلم الذي عقد في مدينة الهاي بهولندا ولكنهُ حذّر من تضحية مصالح الامة في سبيل السلم فقال

يجب ان لا يبرح من الاذهان ان الحرب جائزة بل واجبة على كل ابيّ النفس وعلى كل امة ابية حيث لا ينال السلم الاّ بتضحية ما يعتقدهُ الانسان واجباً عليه او بتضحية مصالح الامة . والسلم خير كبير بوجه عام وينطبق على العدل والاستقامة ولكن ضمائر الامة مقيّدة بالعدل لا بالسلم مثل ضمير كل فرد من افرادها ولا تستطيع الامة ان تضحي ما تعتقدهُ واجباً عليها كما لا يستطيع الفرد ان يضحي

ما هو واجب عليه . وكذلك لا تستطيع الامة وهي لا تموت كما يموت الفرد ان تغض الطرف عن مصالح الاجيال المقبلة كما لا تستطيع ان تغض الطرف عن مصالحها الحاضرة . ولا يجوز لاحد من رجال الحكومة ان يضحي مصالح الامة الضرورية لقصر نظره في العواقب او مجاراة لاهوائه او لاميالهِ الشخصية . والحرب العادلة اصلح للامة من كل سلم ينال بالخضوع للبطل او للظلم . فعلى كل امة ان تستعد للحرب لتنجو من الانقلاب ومع ذلك فالانقلاب في الحرب خير من الاحجام عنها لان الامة المغلوبة على امرها لا يقتضي ان تكون ذليلة وانما الذليل من لا يذود عن حوضهِ بسلاحهِ

علينا كامة ان نبذل جهد الطاقة لحفظ السلم اذا كان مقروناً بالشرف ولا يجوز لامة قوية كانت او ضعيفة ان تعتدي على امة اخرى كما لا يجوز لرجل ان يعتدي على آخر . وعلينا ان نبذل كل جهدنا لتقريب ذلك اليوم الذي يعمُّ فيهِ السلم ام الارض السلم المبني على اساس العدل لا على الخضوع للظلم . ويمكننا ان نفعل كثيراً في هذا السبيل ولكن لا يمكننا ان نفعل كل شيء ومن يحاول فعل امر فوق طاقتهِ فقد لا يفعل شيئاً او يخطيء المراد في ما يفعلهُ . ويجب ان لا يبرح من بالنا ان المتطرفين في مطالبهم لا ينالون الغاية التي يقصدونها بل يكونون حجر عثرة في سبيل المعتدلين الذين يرجى منهم الوصول الى تلك الغاية . وحتى الآن لا نرى سبيلاً لاقامة قوة تتفق عليها دول الارض كلها وتكون حكماً وازعاً عن الشر والعدوان . فمن الحماقة ان تتخلى الامة الحرّة عن القوة التي تحمي بها حقوقها او تحمي بها حقوق الغير اذا طُلب منها ذلك . ولا شيء يزيد الشر ولا شيء يؤخر استتباب السلم والعدل في الدنيا مثل ان تكون الامة حرة مستنيرة تطلب العدل ومع ذلك تجرّد نفسها من كل قوة وتترك الظلم والتوحش في سلاحهما يعيثان فساداً . فاذا كانت دولة من الدول تريد فصل الخصومات بالتحكيم سلمياً فعليها ان تكون قوتها الحربية كافية لتجعل كلامها مسموعاً وطلبها مقبولاً انتهى

هذا وقد اعرب عن رأيهِ في الحرب الاخيرة وما يجب على الولايات المتحدة من الانضمام الى الحلفاء فيها برسالة مسهبة ترجمناها ونشرناها في المقتطف منذ عهد قريب